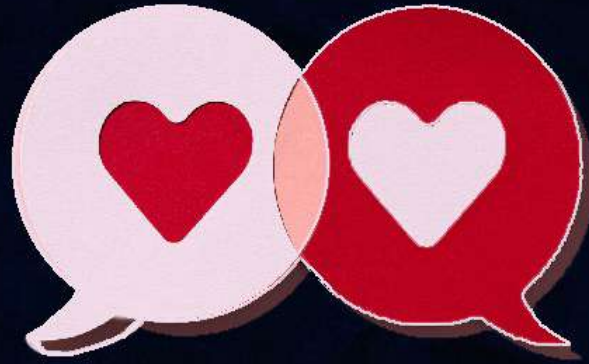


قصص و حِكْم

سِرُّ اللّٰهِ عَادَةٌ

الإحسان إلى الخلق



د. سعد جبر

2026

فهرس المحتويات

● الفصل الأول: السعادة... المفهوم الضائع

- تعريف السعادة (شرعياً ونفسياً)
- أوهام السعادة المعاصرة
- لماذا يفشل الناس في الوصول إليها؟

● الفصل الثاني: الإحسان... جوهر الدين وروح الحياة

- تعريف الإحسان لغة وشرعاً
- مراتب الإحسان (مع حديث جبريل)
- الإحسان في القرآن والسنة
- العلاقة بين الإيمان والإحسان

● الفصل الثالث: الإحسان إلى الناس: صوره ومجالاته

- الإحسان بالقول (الكلمة الطيبة، الدعاء)
- الإحسان بالفعل (المساعدة، التفريج)
- الإحسان بالمال (الصدقة، الهدايا)
- الإحسان بالجاء والمكانة
- الإحسان الخفي والإحسان العلني

● الفصل الرابع (المحوري):

✦ ثمرات الإحسان: سعادة الدنيا وأجر الآخرة

أولاً: أثر الإحسان في الدنيا

- الطمأنينة وانسراح الصدر
- البركة في الرزق والعمر
- محبة الناس وقبولهم
- تفريج الكرب وجلب التيسير

أدلة من القرآن:

- ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (الرحمن: 60)
- ﴿ وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (البقرة: 110)

أحاديث:

- قال ﷺ: "صنائع المعروف تقي مصارع السوء"
- وقال ﷺ: "من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"

ثانياً: أثر الإحسان في الآخرة

- مضاعفة الأجر / دخول الجنة / النجاة من النار / نيل معية الله ومحبه

أدلة من القرآن:

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
- ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: 26)
- ﴿ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: 120)

أحاديث:

- قال ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"
- وقال ﷺ: "كل معروف صدقة"
- وقال ﷺ: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس"

ثالثاً: سر العلاقة بين العطاء والسعادة

- لماذا يسعد المعطي أكثر من الآخذ؟
- تفسير نفسي وإيماني
- كيف يجمع الإحسان بين اللذة القلبية والجزاء الرباني

الفصل الخامس: نماذج مضيئة من المحسنين

- من سيرة النبي ﷺ / من حياة الصحابة / قصص معاصرة مؤثرة / نماذج عالمية

الفصل السادس: الإحسان... رسالة تتجاوز الإنسان

- أولاً: الإحسان... مبدأ شامل لا يتجزأ

- ثانيًا: الإحسان إلى الحيوان... رحمة تُوزن عند الله
- ثالثًا: الإحسان إلى البيئة... مسؤولية الاستخلاف
- رابعًا: الإحسان إلى النفس... البداية التي يُغفلها كثيرون

● الفصل السابع: عوائق الإحسان

- الأناية
- الخوف من الاستغلال
- الجحود
- ضعف اليقين بالأجر

● الفصل الثامن: كيف تصبح من المحسنين؟ (برنامج عملي)

- خطوات يومية
- تمارين تطبيقية
- خطة 30 يومًا للإحسان
- تربية الأبناء على الإحسان

● الفصل التاسع: الإحسان في عالم قاسٍ

- الإحسان في بيئة سلبية
- كيف تحسن دون أن تُستنزف
- بناء ثقافة الإحسان في المجتمع

● الخاتمة:

الإحسان ليس خسارة... بل أعظم استثمار:
استثمار في القلب، وفي الناس، وفي الآخرة.

مقدمة الكتاب ✨

في مساءٍ عاديٍّ من أيام الشتاء، كانت امرأةٌ تقف في طابورٍ طويلٍ داخل متجرٍ صغير، تحمل في يدها سلةً خفيفة، وفي قلبها ثقلٌ لا يُرى.
 لم تكن مشكلتها في المال فقط... بل في الحياة كلها.
 تقدّم رجلٌ غريب، نظر إلى ما في سلتها، ثم دفع الحساب بهدوء، ومضى دون أن ينتظر شكرًا.
 لم يكن المبلغ كبيرًا...
 لكن شيئًا آخر كان كبيرًا جدًا قد حدث.
 تقول تلك المرأة بعد سنوات:
 "لم يُنقذ ذلك الرجل يومي فقط... بل أعاد إليّ إيماني بأن في الدنيا خيرًا يستحق أن نعيش لأجله".

هذه القصة — وإن اختلفت تفاصيلها — تتكرر كل يوم، في كل مكان.
 في شارعٍ مزدحم... في مستشفى... في مدرسة... أو حتى خلف شاشة هاتف.



هناك دائمًا شخصٌ يمدّ يداً،
 وشخصٌ تُنقذه تلك اليد...
 لكن المفاجأة الكبرى ليست هنا.
 بل في السؤال الذي يغفل عنه كثيرون:
 من الذي نال السعادة حقًا؟
 أهو الآخذ... أم المُعطي؟

لقد بحث الإنسان طويلاً عن السعادة...

بحث عنها في المال... فوجد أنها تُشترى ولا تُسكن القلب.
 وبحث عنها في الشهرة... فوجد أنها تُصقّق له من الخارج وتتركه فارغًا من الداخل.
 وبحث عنها في اللذات... فوجدها لحظاتٍ عابرة، يعقبها فراغٌ أكبر.
 لكن قلةً فقط...
 هم الذين جرّبوا طريقًا مختلفًا تمامًا:
 أن يُسعدوا غيرهم... ليجدوا السعادة في أنفسهم.

هذا الكتاب ليس دعوةً مثاليةً حاملة،
 ولا خطابًا وعظيًّا يُثقل النفس،
 بل هو رحلة لاكتشاف سرٍّ عجيب:
 أن السعادة الحقيقية لا تُؤخذ... بل تُعطى.

وأن الإحسان إلى الناس ليس تفضلاً... بل هو في حقيقته أعظم استثمار يعود على صاحبه قبل غيره .



لقد جاء هذا المعنى جلياً في قول الله تعالى:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾
(سورة الرحمن: 60)

وكانها قاعدة كونية قبل أن تكون وعداً إلهياً: ما تُعطيه... يعود إليك، لكن بصيغة أعمق، وأجمل، وأبقى.

وقال النبي ﷺ:

"مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ"
— رواه صحيح البخاري (2442)، وصحيح مسلم (2580)

فجعل قضاء حوائج الناس طريقاً مباشراً إلى معونة الله للعبد... وأيّ سعادة أعظم من أن يكون الله في حاجتك؟

في هذا الكتاب، لن نكتفي بالكلام عن الإحسان، بل سنراه حياً:

- في قصص واقعية غيرت أصحابها
- في مواقف بسيطة صنعت أثراً عظيماً
- في نماذج من السيرة والتاريخ
- وفي دراسات حديثة أثبتت أن العطاء ليس مجرد فضيلة... بل حاجة إنسانية عميقة

ستكتشف أن الإحسان:

- يداوي القلوب قبل أن يغير الظروف
- ويجلب الطمأنينة قبل أن يغير الواقع
- ويُمهد لك طريق الآخرة... وأنت لا تزال تمشي في الدنيا

هذا الكتاب دعوة... لكنها ليست موجهة إلى الآخرين فقط.

إنها تبدأ من سؤالٍ صادق :
متى كانت آخر مرة أسعدتَ فيها إنساناً؟
ولماذا شعرت بعدها بشيءٍ مختلف؟

ربما لن تغيّر العالم كله...
لكن قد تغيّر حياة إنسان،
وحينها...
ستكتشف أنك غيّرت حياتك أنت أولاً.

مرحباً بك في رحلة الإحسان...
حيث تبدأ السعادة الحقيقية.

في ختام المقدمة أحب أن أرفق ملخصاً يصلح كمقال مستقل تلخيص للكتاب :

تلخيص موضوع: الإحسان إلى الناس طريق لرضوان الله

1. مفهوم الإحسان وتعريفه

- الإحسان لغةً مأخوذ من "الحُسن"، وهو كل فعل جميل.
- في الاصطلاح: بذل الخير للغير دون انتظار مقابل، سواء في العبادة أو معاملة الناس.
- يُفسر الإحسان في الحديث النبوي: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

2. مكانة الإحسان في الإسلام

- الإحسان أحد مراتب الدين الثلاث (الإسلام، الإيمان، الإحسان).
- ورد ذكر الإحسان في القرآن الكريم في مواضع متعددة :
 - {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195].
 - {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل: 90].

3. أنواع الإحسان

- الإحسان في العبادة: عبادة الله بإخلاص وخشوع وكأن العبد يرى الله.
- الإحسان إلى الناس: يشمل القول والعمل، مثل تفريج الكرب، قضاء الدين، وإطعام الجائع.
- الإحسان إلى المخلوقات الأخرى: مثل الإحسان للحيوانات كما ورد في الحديث عن الرجل الذي سقى كلباً فشكر الله له وغفر له.

4. فضل الإحسان وثماره

- رضا الله ومحبة الناس :
 - قال رسول الله ﷺ: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس".
- تفريج الكربات في الدنيا والآخرة :

- "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة".
- عناية الله بالمحسن :
- "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه".
- معية الله للمحسنين :
- {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: 128].

5. قصص وعبر عن الإحسان

- النبي محمد ﷺ :
- كان يصل الرحم، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الحق.
- لم يرد أحدًا إذا طلب منه شيئًا، كما قال جابر رضي الله عنه: "ما سئل رسول الله شيئًا قط فقال لا".
- يوسف عليه السلام :
- كان محسنًا في السجن وفي ولايته على خزائن مصر.
- موسى عليه السلام :
- سقى للمرأتين في مدين رغم كونه غريبًا ومحتاجًا.

6. الإحسان في الواقع المعاصر

- يمكن تطبيق الإحسان عبر المساهمة في العمل الخيري، مساعدة الفقراء، دعم المبادرات المجتمعية، والتعاون مع الجيران.
- تعزيز روح المحبة والتعاون في المجتمع.

7. عقبات في طريق الإحسان وكيفية التغلب عليها

- الأناية: التغلب عليها بتذكير النفس بفضل الإحسان.
- الجهل بأهمية الإحسان: التوعية عبر الخطب والمحاضرات.
- الخوف من عدم التقدير: التذكير بأن الأجر من الله وليس من الناس.

8. دعوة إلى الإحسان

- التأكيد على أن الإحسان عبادة عظيمة وسبب لنيل رضا الله.
- التذكير بجزاء المحسنين: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60].



الفصل الأول

السعادة... المفهوم الضائع

في إحدى قاعات جامعة أمريكية مرموقة، جلس مئات الطلاب يستمعون إلى محاضرة تُعد من أكثر المحاضرات إقبالاً في تاريخ الجامعة، وهي دورة عن "السعادة". لم يكن الحضور بسبب مادة سهلة، ولا من أجل درجات دراسية، بل لأن هؤلاء الشباب—على اختلاف تخصصاتهم—كانوا يبحثون عن شيء واحد: كيف نعيش حياةً نشعر فيها بالرضا؟

المثير في الأمر أن كثيراً من هؤلاء الطلاب كانوا يملكون ما يُفترض أنه أسباب السعادة: فرص تعليمية متميزة، مستقبل واعد، وبيئة مريحة نسبياً، ومع ذلك كانوا يشعرون بشيءٍ من القلق، أو الفراغ، أو عدم الاكتفاء. وكان هناك خللاً خفياً بين ما نملكه... وما نشعر به.

هذه المفارقة ليست حالة فردية، بل هي صورة تتكرر في مجتمعات كثيرة، حيث ترتفع مستويات الرفاه المادي، وفي المقابل يزداد القلق والاضطراب النفسي. وهذا يدفعنا إلى إعادة طرح السؤال من جذوره: هل السعادة شيء نفتقده... أم شيء أخطأنا في تعريفه؟

أولاً: السعادة بين التعريف الشرعي والتفسير النفسي

حين نتأمل الوحي، نجد أن السعادة لا تُطرح بوصفها حالة طارئة مرتبطة بظرف معين، بل تُعرض كحالة عميقة من الطمأنينة والرضا، تنشأ من صلة العبد بربه، واستقامة حياته على منهج صحيح. يقول الله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾
(سورة النحل: 97)

فالحياة الطيبة هنا ليست توصيفاً لترف مادي، بل هي وعدٌ بحالة داخلية من الرضا، تلازم الإنسان حتى مع قلة الموارد أو تقلب الأحوال. ولهذا كان النبي ﷺ يربط غنى النفس—لا كثرة المال—بحقيقة الاكتفاء، فقال:

"ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس"
—رواه صحيح البخاري (6446)، وصحيح مسلم (1051)

وهذا التوجيه النبوي يكشف أن السعادة ليست شيئاً يُضاف إلى الإنسان من الخارج، بل تُبنى في داخله، وأن امتلاك الأشياء لا يعني بالضرورة امتلاك الطمأنينة.

أما في علم النفس الحديث، فقد تطور مفهوم السعادة من مجرد الشعور بالمتعة إلى ما يُعرف بالرفاه النفسي العميق، وهو مفهوم يربط السعادة بمعنى الحياة، وجودة العلاقات، والإحساس بالقيمة الذاتية، والقدرة على العطاء. وهذا التحول يقرب كثيراً بين الرؤية العلمية الحديثة، والتصوير الإيماني الذي يجعل القلب هو مركز السعادة، لا الظروف.

ويمكن توضيح الفارق بين هذين النمطين من السعادة في الجدول الآتي:

وجه المقارنة	السعادة السطحية (اللذية)	السعادة العميقة (القيمية)
التعريف	متعة مرتبطة بالإحساس اللحظي	طمأنينة ناتجة عن المعنى
المصدر	عوامل خارجية (مال، متعة)	عوامل داخلية (إيمان، رضا)
الاستمرارية	مؤقتة وسريعة الزوال	أكثر ثباتًا وامتدادًا
الأثر	إشباع يعقبه فراغ	سكينة واستقرار نفسي

ومن هنا يتبين أن الخلل في رحلة البحث عن السعادة ليس في السعي ذاته، بل في تحديد موضعها الصحيح.

ثانيًا: أوهام السعادة في العصر الحديث

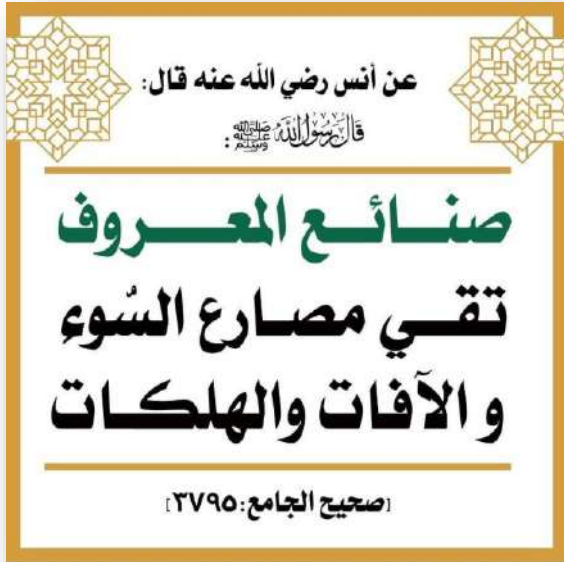
إذا تأملنا في الصورة التي تُقدّم اليوم عن السعادة، نجد أنها غالبًا ما ترتبط بمظاهر خارجية لامعة: بيت فاخر، سفر دائم، نجاح مهني متصاعد، حضور اجتماعي ملفت. هذه الصور—رغم جاذبيتها—تُنشئ في وعي الإنسان تصورًا ضمنيًا مفاده أن السعادة شيء يُقتنى، وأن من يملك أكثر... يسعد أكثر.

غير أن التجربة الإنسانية، قديمًا وحديثًا، تكشف أن هذه المعادلة ليست دقيقة؛ لأن الإنسان يمتلك قدرة عجيبة على التكيف، فما إن يعتاد على مستوى معين من النعمة حتى يفقد تأثيرها، ويبدأ في البحث عن مستوى أعلى. وهكذا يدخل في دائرة لا تنتهي من المطاردة.

ولعل أخطر ما في هذه الأوهام أنها لا تُحقق فقط في تحقيق السعادة، بل تُنتج

شعورًا خفيًا بالنقص، لأن الإنسان يقارن نفسه دائمًا بصورة مثالية يراها عند غيره، خاصة في زمن تضخم فيه عرض "الحياة المثالية" عبر الوسائط الرقمية.

وفي هذا السياق، تتأكد حقيقة إيمانية عميقة، وهي أن القلب إذا تعلّق بما لا يملك، تعب، وإذا لم يجد معنيًا يثبتّه، تشتّت. ومن هنا نفهم لماذا قد يجتمع الرفاه المادي مع القلق الداخلي، ولماذا قد يعيش إنسان بسيط حياةً أكثر طمأنينة من آخر يملك الكثير.



ثالثاً: لماذا يفشل الناس في الوصول إلى السعادة؟

عند تحليل مسار كثير من الناس في بحثهم عن السعادة، نجد أن الفشل لا يرجع إلى قلة الوسائل، بل إلى أخطاء في التصور والسلوك، تتكرر بصور مختلفة، ومن أبرزها:

السبب	التفسير
ربط السعادة بالامتلاك	فيجعل الإنسان سعادته مرهونة بما يملك لا بما يكون
تأجيل السعادة	ينتظر تحقيق هدف معين ليشعر بالرضا
المقارنة المستمرة	يقيس نفسه بالآخرين فيفقد القناعة
إهمال البعد الروحي	فيعيش فراغاً رغم توفر الوسائل المادية
غياب الرسالة	يفقد المعنى الذي يعطي للحياة قيمتها

هذه العوامل لا تعمل بشكل منفصل، بل تتكامل لتُنشئ نمط حياة يقوم على السعي المستمر دون وصول حقيقي، وكأن الإنسان يتحرك كثيراً... لكنه لا يقترب.

غير أن هذا الإدراك، على أهميته، لا يكفي وحده؛ إذ يبقى السؤال الأهم: إذا لم تكن السعادة في الأخذ، ولا في التكديس، ولا في المقارنة... فأين تكون؟

هذا هو الباب الذي سيفتحه هذا الكتاب، حيث سننتقل من البحث عن السعادة بوصفها "نتيجة" نحاول الوصول إليها، إلى فهمها بوصفها "أثراً" لطريق نسلكه. ومن بين أهم هذه الطرق—وأكثرها وضوحاً في النصوص الشرعية والتجارب الإنسانية—طريق الإحسان إلى الناس. فحين يُحسن الإنسان إلى غيره، لا يغيّر واقع الآخرين فحسب، بل يُعيد تشكيل عالمه الداخلي، ويكتشف أن السعادة لم تكن بعيدة... بل كانت تنتظر أن يخرج من دائرة الأخذ إلى أفق العطاء.



● الفصل الثاني

الإحسان... جوهر الدين وروح الحياة

في شتاء عام 2004، اجتاحت إعصارٌ بحريٌّ مدمر سواحل جنوب شرق آسيا، وخلف وراءه آلاف الضحايا وملايين المتضررين. وبين صور الدمار التي ملأت وسائل الإعلام، برزت مشاهد أخرى أقل ضجيجًا لكنها أكثر عمقًا: متطوعون قدموا من دول بعيدة، تركوا أعمالهم وأسرتهم، ليقفوا إلى جانب أناس لا يعرفونهم، يوزعون الطعام، ويضمّدون الجراح، ويجلسون لساعات يستمعون إلى حكايات الناجين.

لم يكن بين هؤلاء المتطوعين رابط دم، ولا مصلحة مشتركة، ولا حتى لغة واحدة تجمعهم، ومع ذلك كانوا يتحركون بدافع داخلي عجيب، كأنهم يجدون في عطاءهم معنى يتجاوز حدود الذات. وقد رصدت تقارير إنسانية عديدة— صادرة عن منظمات إغاثية دولية— أن نسبة كبيرة من هؤلاء المتطوعين عبروا بعد انتهاء المهمة عن شعور عميق بالرضا والسكينة، رغم قسوة ما شاهدوه من مآسٍ.

هذه الظاهرة تطرح سؤالاً جوهرياً: ما الذي يدفع الإنسان إلى الإحسان لغيره دون مقابل؟ ولماذا يجد في ذلك لذة لا يجدها أحياناً في الأخذ؟

أولاً: تعريف الإحسان لغةً وشرعاً

الإحسان في اللغة مأخوذ من "الحسن"، وهو ضد القبح، ويدل على الإتقان، والزيادة في الفعل، وتقديم الشيء على وجه أفضل مما يُطلب. فليس الإحسان مجرد أداء الواجب، بل هو تجاوزه إلى مرتبة الإتقان والبذل.

أما في الاصطلاح الشرعي، فقد جاء تعريفه في أوضح صورة في حديث جبريل المشهور، حين سأل عن الإحسان، فقال النبي ﷺ:

"أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"
— رواه صحيح البخاري (50)، وصحيح مسلم (9)

وهذا التعريف يفتح أفقاً واسعاً لفهم الإحسان؛ فهو ليس سلوكاً ظاهرياً فحسب، بل حالة قلبية من المراقبة، تنعكس على العمل، فتجعله أصدق، وأتقن، وأرحم.

ومن هنا يتبين أن الإحسان لا يقتصر على العلاقة مع الله، بل يمتد ليشمل كل علاقة في حياة الإنسان: مع نفسه، ومع الناس، ومع العالم من حوله.

ثانياً: مراتب الإحسان (في ضوء حديث جبريل)

يُعد حديث جبريل أصلاً جامعاً للدين، إذ جمع بين الإسلام والإيمان والإحسان، وجعل الإحسان أعلى هذه المراتب، لأنه يمثل كمالها.

وإذا تأملنا هذا الحديث، نجد أن الإحسان يقوم على مستويين متكاملين:

- مرتبة المشاهدة "بُن تعبد الله كأنك تراه" وهي أعلى المراتب، حيث يعيش القلب حالة حضور دائم مع الله، فيثمر ذلك إخلاصًا عميقًا .
- مرتبة المراقبة "بخان لم تكن تراه فإنه يراك" وهي مرتبة الوعي الدائم بنظر الله، مما يدفع الإنسان إلى ضبط سلوكه وتحسين عمله . وهاتان المرتبتان لا تبقيان في نطاق العبادة فقط، بل تنعكسان على التعامل مع الناس؛ فكلما استحضر الإنسان مراقبة الله، ازداد إحسانه، حتى في أبسط التفاصيل التي لا يراها أحد.

ثالثًا: الإحسان في القرآن والسنة

إذا تتبعنا ورود الإحسان في القرآن الكريم، نجد أنه ليس خُلُقًا هامشيًا، بل قيمة مركزية تتكرر في سياقات متعددة، حتى كأنها خيط يربط بين العبادات والمعاملات.

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ سورة النحل: 90

فجعل الإحسان مرتبة فوق العدل؛ لأن العدل إعطاء الحق، أما الإحسان فهو الزيادة على الحق.

ويقول سبحانه: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195]

وهذا التعبير يكشف أن الإحسان ليس مجرد عمل، بل طريق إلى محبة الله، وهي أعظم ما يسعى إليه المؤمن.

وفي السنة النبوية، تتجلى هذه القيمة في صور عملية قريبة من حياة الناس، حيث يقول النبي ﷺ:

"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" — رواه صحيح مسلم (1955)

فلم يقصر الإحسان على علاقة دون أخرى، بل جعله مبدأ شاملاً، يدخل في أدق تفاصيل الحياة، حتى في التعامل مع الحيوان، وفي طريقة أداء العمل.

كما قال ﷺ: "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ"

— رواه الطبراني في المعجم الكبير، وحسنه عدد من أهل العلم

وهذا الحديث يربط بوضوح بين الإحسان إلى الناس، والمكانة عند الله، ليؤكد أن قيمة الإنسان لا تقاس بما يأخذ، بل بما يعطي.

رابعًا: العلاقة بين الإيمان والإحسان

إذا كان الإيمان هو التصديق، والعمل، والانقياد، فإن الإحسان هو روح هذا الإيمان وذروته . فالإيمان بدون إحسان قد يتحول إلى أداء شكلي، بينما الإحسان يضيء عليه الحياة والصدق. ولهذا، حين ذكر الله جزاء المحسنين، لم يجعله مجرد مقابل، بل علاقة متبادلة تقوم على قاعدة عظيمة:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ سورة الرحمن: 60

وكان هذه الآية تؤسس لقانون إيماني عميق: أن الإحسان لا يضيع، بل يعود إلى صاحبه، بصورة قد تكون أوسع مما أعطى.

كما أن الإحسان يعالج واحدة من أكبر مشكلات الإنسان المعاصر، وهي الفراغ الداخلي؛ لأن الإنسان حين يعيش لنفسه فقط، تضيق رؤيته، أما حين يمتد أثره إلى الآخري ن، تتسع حياته، ويشعر بقيمته.

ومن هنا نفهم أن الإحسان ليس مجرد خلق زائد، بل هو ضرورة نفسية وإيمانية، به يكتمل الإيمان، وبه تتحقق السعادة التي يبحث عنها الإنسان.

وهكذا، يتبين أن الإحسان ليس عملاً عابراً، ولا فضيلة ثانوية، بل هو جوهر هذا الدين، وروح الحياة التي تمنحها معناها. وإذا كان الفصل السابق قد كشف عن ضياع مفهوم السعادة، فإن هذا الفصل يضع أول لبنة في استعادتها، من خلال فهم أن الطريق إليها لا يبدأ من الأخذ... بل من الإحسان.



الفصل الثالث

الإحسان إلى الناس: صورته ومجالاته

في إحدى المحاضرات الشهيرة التي ألقاها الأدميرال الأمريكي William H. McRaven، روى تجربة بسيطة من تدريبه العسكري، قال فيها إن أول ما يُطلب من الجندي في بداية يومه هو ترتيب سريره بإتقان. قد يبدو الأمر تافهًا، لكنه يعلم معنى عميقًا: أن أبسط الأفعال، إذا أحسن أداؤها، تُحدث أثرًا يتجاوز حجمها.

هذه الفكرة—رغم بساطتها—تفتح لنا بابًا مهمًا لفهم الإحسان؛ إذ ليس الإحسان محصورًا في الأعمال الكبيرة، بل قد يبدأ من تصرف صغير، كلمة عابرة، أو موقف بسيط، لكنه يُؤدّي بروح مختلفة. ومن هنا، فإن الإحسان إلى الناس ليس مجالًا واحدًا، بل شبكة واسعة من الصور التي تتداخل في حياة الإنسان اليومية، بحيث يستطيع كل أحد أن يكون مُحسنًا، مهما كانت قدراته أو ظروفه.

أولًا: الإحسان بالقول... الكلمة التي تُحيي

قد يظن البعض أن الإحسان يحتاج إلى مال أو جهد كبير، لكن النصوص الشرعية تلفت النظر إلى أن الكلمة نفسها يمكن أن تكون بابًا عظيمًا من أبواب الإحسان. يقول الله تعالى:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ سورة البقرة: 83

فجعل القول الحسن خطابًا عامًا، يشمل كل الناس، لا فئة معينة، مما يدل على أن الكلمة الطيبة ليست مجالمة اجتماعية، بل عبادة وسلوك مقصود.

ويؤكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: "والكلمة الطيبة صدقة" —رواه صحيح البخاري (2989)، وصحيح مسلم (1009)

وهذا يرفع من قيمة الكلمة، من مجرد تعبير إلى عمل صالح يُثاب عليه الإنسان.

والتجربة الإنسانية تؤكد هذا المعنى؛ فكلمة تشجيع قد تغير مسار إنسان، وكلمة لطف قد تخفف ألمًا، وكلمة تقدير قد تعيد الثقة إلى نفس منهكة. ولذلك، فإن الإحسان بالقول يشمل: النصيحة، والدعاء، والثناء الصادق، والاعتذار، وكل ما يدخل السرور على قلب الآخر.

ثانيًا: الإحسان بالفعل... حين تتحرك اليد

إذا كانت الكلمة تلامس القلب، فإن الفعل يُغيّر الواقع. والإحسان بالفعل هو الصورة الأكثر وضوحًا للعطاء، لأنه يُترجم النية إلى عمل.

وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى حين قال: "مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ" —رواه صحيح البخاري (2442)، وصحيح مسلم (2580)

وهذا الربط بين قضاء حوائج الناس، ومعونة الله للعبد، يكشف أن الإحسان ليس خسارة، بل تبادل عميق، يُقدّم فيه الإنسان شيئاً، فيعود إليه ما هو أعظم. والإحسان بالفعل يشمل صوراً كثيرة: مساعدة محتاج، تفريج كربة، تعليم جاهل، الوقوف مع مريض، أو حتى إمطة الأذى عن الطريق، كما جاء في الحديث الصحيح.

ثالثاً: الإحسان بالمال... العطاء الذي يتجاوز الأرقام

المال بطبيعته يميل إليه القلب، ولذلك كان بذله من أعظم صور الإحسان؛ لأنه اختبار حقيقي لقدرة الإنسان على تقديم غيره على نفسه.

يقول الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾
سورة البقرة: 261

وهذا التصوير القرآني لا يكتفي ببيان الأجر، بل يُجسّد فكرة "النماء"، وكأن المال الذي يُعطى لا ينقص، بل يتحول إلى طاقة ممتدة في الحياة.

ويقول النبي ﷺ: "ما نقصت صدقةً من مال" — رواه صحيح مسلم (2588)

وهو تقرير لحقيقة قد لا تُدرك بالحسابات المادية، لكنها تلمس في البركة، والتيسير، والطمأنينة. ولا يقتصر الإحسان المالي على الصدقة فقط، بل يشمل الهدايا، والمشاركة، والدعم، وكل ما يُشعر الآخر بأنه ليس وحده.

رابعاً: الإحسان بالجاء والمكانة... حين تُسخر تأثيرك

ليست كل أشكال الإحسان مادية، فبعض الناس يملكون ما هو أثمن من المال: مكانة، أو نفوذ، أو قدرة على التأثير. وهنا يظهر نوع آخر من الإحسان، وهو توظيف هذه المكانة في خدمة الآخرين. فكم من إنسان فُتحت له أبواب كانت مغلقة، لا بمالٍ، بل بكلمة، أو توصية، أو شفاعة حسنة. وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم بقوله:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ سورة النساء: 85

فالشفاعة هنا ليست مجاملة، بل مسؤولية، إذا استخدمت في الحق، كانت من أعظم أبواب الإحسان.

خامساً: الإحسان الخفي والإحسان العلني... بين الإخلاص والتأثير

يبقى بعد ذلك بُعد مهم في الإحسان، لا يتعلق بنوع العمل، بل بكيفية أدائه: هل يكون خفياً أم علنياً؟

الإحسان الخفي هو الأقرب إلى الإخلاص، لأنه يتم بعيداً عن أعين الناس، فيكون أدلّ على صدق النية. وقد أثنى الله على هذا اللون من العطاء بقوله:

﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَصْدَقْتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تَخْفُوها وَتَوْتُوها أَلْفُقْرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ سورة البقرة: 271
 أما الإحسان العلي، فله أثر آخر، وهو تحفيز الآخرين، ونشر ثقافة العطاء، إذا خلص من الرياء،
 وكان القصد منه التشجيع لا الظهور.

ومن التوازن في هذا الباب أن يجمع الإنسان بين النوعين: يُخفي ما يخاف عليه من الرياء، ويُظهر ما
 يُرجى فيه نشر الخير.

وهكذا يتبين أن الإحسان إلى الناس ليس بابًا واحدًا يُفتح، بل هو أبواب متعددة، يستطيع كل إنسان
 أن يدخل منها بحسب ما أوتي من قدرة، أو وقت، أو مال، أو مكانة. وليس المهم أن تكون الصورة
 كبيرة، بل أن تكون صادقة، لأن الأثر الحقيقي للإحسان لا يُقاس بحجمه، بل بما يُحدثه في
 القلوب.

وهنا يبدأ التحول الحقيقي: حين يدرك الإنسان أن السعادة التي يبحث عنها، ليست بعيدة، بل
 كامنة في هذه الأفعال الصغيرة التي يمنح بها غيره حياةً أفضل... فيمنحه الله بها قلبًا أكثر حياة.



قال رسول الله ﷺ:

«أحبُّ الأعمالِ

إلى الله عز وجل:

سُرورٌ يدخله على مسلم،

أو يكشف عنه كربة، أو

يقضي عنه دينًا، أو تطرد

عنه جوعًا»

ذكرى للمؤمنين

السلسلة الصحيحة 906

الفصل الرابع

(الفصل المحوري)

❖ ثمرات الإحسان: سعادة الدنيا وأجر الآخرة

في تجربة علمية مشهورة أجريت في Harvard University ضمن دراسات السلوك الإنساني، طُلب من مجموعة من المشاركين أن يُنفقوا مبلغًا ماليًا بسيطًا، ولكن بشرطين مختلفين: فريقٌ طُلب منه أن يُنفق المال على نفسه، وفريقٌ آخر طُلب منه أن يُنفقه على غيره. وعند نهاية اليوم، لم يكن الفارق في المال كبيرًا، لكن الفارق في الشعور كان واضحًا؛ إذ أظهرت النتائج أن الذين أنفقوا على الآخرين عبّروا عن مستوى أعلى من الرضا والسعادة مقارنةً بغيرهم. هذه النتيجة—التي تكررت في أكثر من دراسة—تبدو للوهلة الأولى مخالفةً للمنطق المادي، لكنها في الحقيقة تقترب كثيرًا من قانون إيماني عميق: أن العطاء لا يُنقص الإنسان... بل يملؤه. وهذا ما سنحاول استكشافه في هذا الفصل: كيف يتحول الإحسان إلى مصدرٍ لسعادة الدنيا، وجسرٍ إلى نعيم الآخرة.

أولًا: أثر الإحسان في الدنيا

حين يُحسن الإنسان إلى غيره، قد يظن أن أثر ذلك يتوقف عند الطرف الآخر، لكن التجربة—والنصوص الشرعية—تكشف أن أول من يتأثر بالإحسان هو صاحبه.

♦ الطمأنينة وانسراح الصدر

من أعظم ما يلمسه المحسن، شعور داخلي بالراحة، وكأن شيئًا في القلب قد استقر. وهذا ليس مجرد انطباع، بل حقيقة متكررة؛ لأن الإنسان خُلق ليتجاوز ذاته، فإذا انغلق عليها ضاق، وإذا انفتح على غيره اتسع.

وهذا المعنى يدخل ضمن عموم قوله تعالى:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ سورة الرحمن: 60

فالإحسان هنا لا يقتصر على الجزاء الأخروي، بل يشمل ما يجده الإنسان من أثرٍ مباشرٍ في قلبه.

♦ البركة في الرزق والعمر

ليست البركة دائمًا زيادةً في الكم، بل هي زيادة في النفع، واتساع في الأثر. وكثير من الناس يلاحظ أن العطاء—رغم أنه إنفاق—يُحدث نوعًا من التيسير غير المتوقع.

ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى:

﴿ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ سورة البقرة: 110

كما قال النبي ﷺ: "ما نقصت صدقةً من مال" — رواه صحيح مسلم (2588)

فالنقص هنا يُنفى، لا بالحساب الظاهر، بل بما يعوّضه الله من بركة ونماء.

◆ محبة الناس وقبولهم

الإحسان له أثر خفي في القلوب؛ فهو يزرع القبول دون أن يطلبه الإنسان. فالناس مجبولون على محبة من يُحسن إليهم، بل ومن يُحسن إلى غيرهم.

وهذا ما يجعل المحسن—غالبًا—أقرب إلى القلوب، وأكثر حضورًا في حياة الآخرين، لأن أثره لا يقف عند الفعل، بل يمتد إلى الشعور.

◆ تفريج الكرب وجلب التيسير

من أعجب ثمرات الإحسان أن الإنسان قد يُفَرِّج كربة غيره، فيجد أن الله يُفَرِّج كربته هو، وكأن هناك قانونًا خفيًا يعمل في الحياة.

وقد عبّر النبي ﷺ عن هذا المعنى بوضوح: "مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ"
—رواه صحيح البخاري (2442)، وصحيح مسلم (2580)

وفي رواية أخرى:

"صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ" —رواه الطبراني وحسنه بعض أهل العلم

وهذا يفتح أفقًا مهمًا: أن الإحسان لا يغيّر الواقع فقط، بل قد يكون سببًا في دفع بلاءٍ لم يقع بعد.

ثانيًا: أثر الإحسان في الآخرة

إذا كان للإحسان هذا الأثر في الدنيا، فإن أثره في الآخرة أعظم وأبقى؛ لأنه يُقدّم لرب لا يضيع عنده شيء.

◆ مضاعفة الأجر: يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ سورة يونس: 26

فلم يجعل الجزاء مساويًا للعمل، بل أضاف إليه "زيادة"، وهي ما فسرها بعض أهل العلم بالنظر إلى وجه الله، وهو أعظم نعيم.

◆ نيل محبة الله يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

وهذه منزلة لا تعادلها منزلة؛ لأن محبة الله تعني التوفيق، والرعاية، والقبول.

◆ النجاة من النار ودخول الجنة

قال النبي ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"

—رواه صحيح البخاري (1417)، وصحيح مسلم (1016)

فرب عمل صغير في ظاهره، يكون سببًا في نجاة عظيمة.

◆ بقاء الأجر وعدم ضياعه

يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة التوبة: 120
وهذه من أعظم الطمأنينات؛ لأن الإنسان قد لا يرى أثر إحسانه في الدنيا، لكنه محفوظ عند الله.

◆ شمول الإحسان لكل الأعمال

قال النبي ﷺ: "كلُّ معروفٍ صدقةٌ" — رواه صحيح البخاري (6021)، وصحيح مسلم (1005)
وقال ﷺ: "أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهُم للناسِ" — رواه الطبراني وحسنه عدد من أهل العلم
وهذا يفتح باب الأمل واسعاً، لأن كل إنسان قادر على أن يكون له نصيب من هذا الخير.
فضل السعي في قضاء حوائج الناس والإحسان إليهم
من القرآن والسنة :

وقد أمر الله تعالى عباده بالإحسان في كثير من آيات القرآن:

قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يِعْظُمُ لِعَظْمِكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]

وقال تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: 83].
فهو أمر بالإحسان في القول والعمل جميعاً.

وقال: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195]،

وقال: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: 26]، {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} [الزمر: 10]، {إِنَّ أَحْسَنَكُمْ
أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} [الإسراء: 7].

فإن قضاء حوائج الناس والإحسان إليهم من أعظم أعمال البر، فقد فضل أهل العلم الأعمال ذات
النفع المتعدي إلى الآخرين على النفع الخاص، وقد ثبت الترغيب في ذلك، كما في صحيح البخاري
ومسلم وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن
كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم
القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة.

وفي صحيح مسلم ومسنده أحمد وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من نفس عن مؤمن
كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه
في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في
عون أخيه.

وعن ابن عمر . رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: أي
الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الناس
إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه

كربة، أو تقضى عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد . يعني مسجد المدينة . شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه . ولو شاء أن يمضيه أمضاه . ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة . حتى يثبتها له . أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: قضاء الحوائج، والطبراني وغيرهما، وحسنه الألباني.

ثالثاً: سر العلاقة بين العطاء والسعادة

يبقى السؤال الذي يُلخّص هذا الفصل كله: لماذا يشعر الإنسان بسعادة حين يعطي، قد لا يشعر بها حين يأخذ؟

الجواب ليس في جانب واحد، بل في تلاقى بعدين:

◆ التفسير النفسي

الإنسان مفطور على التواصل والعطاء، فإذا مارس ذلك، شعر بأنه يؤدي دوره الطبيعي، مما يعزز شعوره بالقيمة والمعنى. ولهذا، فإن العطاء لا يُشبع حاجة الآخر فقط، بل يُشبع حاجة داخلية عميقة في النفس.

◆ التفسير الإيماني

الإحسان ليس مجرد سلوك، بل عبادة، وكل عبادة تورث أثراً في القلب. وحين يعطي الإنسان، وهو يستحضر أن الله يراه ويجازيه، يتحول الفعل إلى مصدر سكينه، لا مجرد حركة.

◆ الجمع بين اللذة القلبية والجزاء الرباني

وهنا تتجلى خصوصية الإحسان؛ فهو يجمع بين أمرين قلّ أن يجتمعا:

- لذة فورية يشعر بها الإنسان في قلبه
- وأجر مؤجل أعظم عند الله

وكأن الله جعل الإحسان عملاً لا ينتظر صاحبه الآخرة ليذوق أثره، بل يمنحه من السعادة العاجلة ما يدفعه للاستمرار.

وهكذا يتبين أن الإحسان ليس تضحية يخسر فيها الإنسان، بل هو معادلة رابحة في الاتجاهين: يعطي فيأخذ، ويبذل فيُغنى، ويُسعد غيره فيجد السعادة في نفسه.

ومن هنا تبدأ القناعة العميقة التي يقوم عليها هذا الكتاب:

أن السعادة ليست في أن تملك أكثر...

بل في أن تكون سبباً في خير يصل إلى غيرك... فيعود إليك نوراً في قلبك، وأجرًا عند ربك.

● الفصل الخامس

نماذج مضيئة من المحسنين

في إحدى ليالي الشتاء القاسية في مدينة نيويورك، وبينما كانت درجات الحرارة تقترب من الصفر، خرج شاب يحمل أكياساً من الطعام والبطانيات، يجوب الشوارع بحثاً عن المشردين. لم يكن هذا عملاً عابراً، بل مشروع حياة كرسه هذا الشاب، وهو Narbef F. Arabe، الذي قرر أن يجعل من الإحسان رسالة يومية، بعد أن أدرك أن كثيراً من الناس لا يحتاجون فقط إلى المال، بل إلى شعور بأنهم مرثيون، وأن هناك من يهتم بهم.

وقد تحولت مبادرته لاحقاً إلى عمل منظم، ألهم آلاف المتطوعين حول العالم، وأكد أن الإحسان حين يتحول إلى أسلوب حياة، لا يبقى أثره محدوداً، بل يمتد ويتكاثر.

هذه القصة—وغيرها كثير—تكشف أن الإحسان ليس فكرة مثالية، بل واقع يمكن أن يُعاش، وأن من سبقونا في هذا الطريق تركوا لنا نماذج حية نستضيء بها.

أولاً: من سيرة النبي ﷺ... الإحسان في أعلى صورته

حين نتأمل سيرة النبي ﷺ، نجد أن الإحسان لم يكن جانباً من حياته، بل كان طابعها العام، حتى مع من أساء إليه.

ومن أبلغ المواقف في ذلك ما حدث يوم فتح مكة، حين اجتمع أولئك الذين آذوه وأخرجوه، وكانوا يتوقعون انتقاماً، فقال لهم ﷺ:

"ذهبوا فأنتم الطلقاء" — رواه أهل السير، وصححه جمع من أهل العلم

هذا الموقف لا يفهم فقط على أنه عفو، بل هو إحسان في موضع القدرة، وهو أعلى مراتبه؛ لأن النفس تميل حينها إلى الانتصار، لا إلى الصفح.

كما كان ﷺ يُحسن في أدق التفاصيل اليومية، حتى قالت أم المؤمنين Aisha bint Abi Bakr رضي الله عنها:

"كان يكون في مهنة أهله" — رواه صحيح البخاري (676)

فجعل من خدمته لأهله باباً من أبواب الإحسان، ليعلم أن العطاء لا يبدأ من المواقف الكبرى فقط، بل من داخل البيت.

ثانياً: من الصحابة... الإحسان الذي يصنع أمة

تجلى الإحسان في حياة الصحابة بصورة عملية مذهشة، حتى صار سلوكاً جماعياً، لا مواقف فردية.

ومن أعظم النماذج ما وصفه الله تعالى بقوله:

﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ سورة الحشر: 9

وقد نزلت هذه الآية في الأنصار حين قدّموا المهاجرين على أنفسهم، رغم حاجتهم، فكان الإحسان هنا ليس فضلًا من فائض، بل عطاءً مع وجود الحاجة.

ومن المواقف المشهورة كذلك ما روي عن سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أنه كان يذهب سرًا إلى بيت امرأة عجوز عمياء، يخدمها دون أن تعلم من هو، فلما تولى الخلافة، اكتشف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك، فقال: "أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر." — رواه حلية الأولياء

وهذا النموذج يكشف بوضوح أن الإحسان الحقيقي لا يحتاج إلى جمهور، بل يكفيه أن يكون عند الله معلومًا.

ثالثًا: قصص معاصرة... الإحسان في واقعنا اليوم

في عام 2013، أقدم رجل أعمال كندي يُدعى كارل فاندينبوتش Karl VandenBossche على فعل بسيط في ظاهره، لكنه عميق في أثره؛ إذ قرر أن يدفع فواتير الطعام لعشرات الأشخاص في مطاعم مختلفة، دون أن يُعرّف بنفسه، مكتفياً بترك رسالة صغيرة تقول: "هذا اليوم أفضل لأنك فيه."

وقد تحولت هذه المبادرة إلى سلسلة من الأفعال المتتابة، حيث قام آخرون بتقليد الفكرة، وانتشرت موجة من العطاء العفوي، مما يعكس كيف يمكن لفعل واحد أن يُطلق سلسلة من الخير.

وفي مبادرة أخرى، أطلقت حركة "Pay It Forward" في عدة دول، وهي تقوم على فكرة أن يتلقى الإنسان معروفًا، ثم يقدّمه لغيره، دون انتظار رد من الشخص نفسه. وقد أثبتت هذه الفكرة—كما وثقتها تقارير اجتماعية متعددة—أن الإحسان حين يتحول إلى ثقافة، يصبح قوة تغيير حقيقية في المجتمع.

رابعًا: نماذج عالمية... الإحسان لغة إنسانية مشتركة

الإحسان ليس حكرًا على ثقافة دون أخرى، بل هو قيمة إنسانية تتكرر في كل زمان ومكان.

ومن أبرز النماذج العالمية ما قام به Chuck Feeney، الذي تبرع بمعظم ثروته—التي بلغت مليارات الدولارات—في السر، عبر مؤسسة خيرية، دون أن يسعى إلى شهرة أو تقدير إعلامي. ولم يُكشف عن قصته إلا بعد سنوات، حين أعلن أنه أنهى توزيع ثروته بالكامل تقريبًا على مشروعات تعليمية وصحية حول العالم.

هذه القصة تكشف بوضوح أن الإحسان لا يرتبط بكمية المال فقط، بل بالنية التي تقف خلفه، وأن أعظم العطاء ما كان خالصًا.

وهكذا، حين نتأمل هذه النماذج—من سيرة النبي ﷺ، إلى الصحابة، إلى المعاصرين—نجد خيطًا مشتركًا يجمعها: أن الإحسان لم يكن فعلًا عابرًا، بل كان اختيارًا واعيًا، وطريقًا للحياة.

وهنا تظهر الحقيقة التي نحتاج أن نرسخها:

أن الإحسان ليس صفة يولد بها بعض الناس دون غيرهم، بل هو قرار يمكن أن يتخذه كل إنسان، يبدأ بخطوة صغيرة، ثم يكبر أثره حتى يتجاوز صاحبه.

ومن هنا، فإن هذه النماذج ليست للتأمل فقط، بل للاقتداء...
لأن السعادة التي وصلوا إليها، ليست سرًا مغلقًا، بل طريقًا مفتوحًا لمن أراد أن يسلكه.



قال رسول الله ﷺ

**«لأن أمشي مع أخ لي
في حاجة أحب إلي من أن
اعتكف في هذا المسجد
يعني مسجد المدينة»**

شهرًا

رياض الصالحين

رواه مسلم

● الفصل السادس

الإحسان... رسالة تتجاوز الإنسان

في أحد مقاطع الفيديو التي انتشرت عالمياً، يظهر شاب تركي يُدعى Ali Celik وهو يفتح متجره صباحاً، لا ليبدأ عمله مباشرة، بل ليضع طعاماً وماءً للقطط والكلاب الضالة التي اعتادت أن تنتظره عند الباب. لم يكن هذا مشهداً استثنائياً بالنسبة له، بل عادة يومية، يفعلها بهدوء، دون ضجيج، وكأنها جزء طبيعي من حياته.

حين سُئل عن ذلك، لم يتحدث عن بطولات، بل قال ببساطة: "هي مخلوقات تحتاج... ونحن نستطيع".

هذا المشهد—في بساطته—يعيد تشكيل فهمنا للإحسان؛ إذ يكشف أن العطاء لا يقف عند حدود الإنسان، بل يمتد إلى كل ما حوله، لأن الرحمة التي تُبنى في القلب لا تعرف حدوداً ضيقة.

أولاً: الإحسان... مبدأ شامل لا يتجزأ

حين جاء التوجيه النبوي:

"إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ"

—رواه صحيح مسلم (1955)

لم يأت مقيداً بمجال معين، بل جاء عاماً، ليؤسس قاعدة: أن الإحسان ليس سلوكاً انتقائياً، بل منهج حياة شامل.

فكما يُطلب من الإنسان أن يُحسن إلى الناس، يُطلب منه كذلك أن يُحسن في تعامله مع الحيوان، ومع البيئة، بل حتى مع نفسه. لأن الإحسان في حقيقته ليس متعلقاً بالآخر فقط، بل هو صفة في الفاعل نفسه، تنعكس على كل ما يتصل به.

ثانياً: الإحسان إلى الحيوان... رحمة تُوزن عند الله

من أبلغ ما ورد في هذا الباب، قصتان نبويتان ترسمان بوضوح أثر التعامل مع الحيوان:

قال النبي ﷺ:

"دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض"

—رواه صحيح البخاري (3482)، وصحيح مسلم (2242)

وفي المقابل:

"بينما رجلٌ يمشي بطريق اشتد عليه العطش... فرأى كلباً يلهث، فسقاه، فشكر الله له فغفر له"

—رواه صحيح البخاري (2363)، وصحيح مسلم (2244)

هاتان الصورتان— في طرفيهما— تكشفان حقيقة عميقة: أن الإحسان إلى مخلوق ضعيف، أو الإساءة إليه، ليس أمرًا هامشيًا، بل قضية تُوزن عند الله، وقد تكون سببًا في نجاة أو هلاك.

ثالثًا: الإحسان إلى البيئة... مسؤولية الاستخلاف

قد يبدو الحديث عن البيئة مفهومًا حديثًا، لكن جذوره في الإسلام عميقة، لأنه دين الاستخلاف، لا الاستهلاك.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ سورة الأعراف: 56

فجعل الإفساد في الأرض منهيًا عنه، لا باعتباره ضررًا ماديًا فقط، بل خرقًا للأمانة.

ويأتي التوجيه النبوي ليغرس معنى الإيجابية حتى في أقسى الظروف:

"إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها"
— رواه مسند أحمد وحسنه بعض أهل العلم

وهذا الحديث يعلم أن الإحسان لا يتوقف، حتى لو بدا أن النتائج لن تُرى، لأن القيمة في الفعل نفسه، لا في نتائجه فقط.

رابعًا: الإحسان إلى النفس... البداية التي يُغفلها كثيرون

من أعمق صور الإحسان، وأخفها، أن يُحسن الإنسان إلى نفسه. لا بمعنى إرضاء الشهوات، بل بمعنى رعايتها، وتزكيتها، وعدم ظلمها.

قال النبي ﷺ: "إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا" — رواه صحيح البخاري (1968)

فجعل للنفس حقًا، كما للآخرين حقوق، لأن الإنسان إذا أهمل نفسه، لم يستطع أن يُحسن إلى غيره على المدى الطويل.

خاتمة الفصل

وهكذا يتضح أن الإحسان ليس دائرة ضيقة تبدأ بالناس وتنتهي عندهم، بل هو دائرة واسعة، تبدأ من القلب، ثم تمتد إلى كل ما يحيط بالإنسان.

فالمحسن الحقيقي لا يسأل: "لمن أحسن؟"

بل يسأل: "كيف أكون محسنًا في كل ما أتعامل معه؟"

ومن هنا، فإن الإحسان إلى الحيوان، وإلى البيئة، وإلى النفس، ليس إضافة على هذا الطريق... بل هو اكتماله.

لأن القلب الذي تعلم الرحمة،

لا يختار من يرحم...

بل يصبح الرحمة نفسها.

الفصل السابع

عوائق الإحسان

في عام 1968، أجرى العالمان الاجتماعيان John Darley و Bibb Latané تجربة شهيرة عُرفت لاحقًا بـ "تأثير المتفرج. (Bystander Effect) " وُضع المشاركون في موقف افتراضي يسمعون فيه شخصًا يتعرض لأزمة صحية ويطلب المساعدة، وكان المتغير الوحيد في التجربة هو عدد الأشخاص الذين يظنّ كل مشارك أنهم يسمعون الموقف نفسه.

النتيجة كانت لافتة: كلما زاد عدد الحاضرين، قلّ احتمال تدخّل الفرد للمساعدة. وكأنّ المسؤولية تتلاشى حين تتوزع، أو كأنّ الإنسان ينتظر غيره ليفعل.

هذه النتيجة لا تتحدث فقط عن موقف طارئ، بل تكشف عن شيء أعمق: أن الإحسان—رغم فطرته—قد يُعاق داخل الإنسان بعوامل خفية، تمنعه من أن يتحول إلى سلوك.

وهذا ما يجعل السؤال مهمًا: إذا كان الإحسان طريقًا للسعادة، فلماذا لا يسلكه الجميع بسهولة؟

أولًا: الأنانية... حين يضيق الأفق على الذات

الأنانية ليست مجرد حب للنفس، فهذا أمر فطري، لكنها تتحول إلى عائق حين تصبح مركز الرؤية الوحيد، فيُقاس كل شيء بميزان "ماذا سأكسب؟".

وحين يسيطر هذا المنطق، يتراجع الإحسان؛ لأنّ العطاء في ظاهره خروج عن مصلحة الذات، بينما الحقيقة أنه توسيع لها، لكن الأنانية تعجز عن رؤية هذا الامتداد.

وقد عالج القرآن هذا الداء بوضوح حين قال:

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة الحشر: 9

فجعل الشح—وهو أعلى درجات الأنانية—حاجزًا أمام الفلاح، وكأنّ الإنسان لا ينجو إلا إذا تحرر من هذا الضيق الداخلي.

والتجربة تؤكد ذلك؛ فكلما انغلق الإنسان على نفسه، ضاقت حياته، وكلما خرج منها إلى الآخرين، اتسعت رؤيته، وشعر بمعنى أعمق لوجوده.

ثانيًا: الخوف من الاستغلال... حين يُربك الحذر العطاء

من أكثر ما يردده الناس: "أخشى أن أستغل"، وهو خوف له ما يبرره أحيانًا، لأنّ الواقع لا يخلو من استغلال أو جحود. لكن المشكلة تبدأ حين يتحول هذا الخوف إلى قاعدة عامة، فيتوقف الإنسان عن الإحسان أصلًا.

وهنا يحدث نوع من الخلل؛ إذ يصبح السلوك محكومًا بأسوأ الاحتمالات، لا بأفضل المبادئ.

والتوازن الذي يقدمه المنهج الإسلامي لا يدعو إلى السذاجة، ولا إلى الانغلاق، بل إلى الإحسان الواعي، الذي يجمع بين حسن النية وحسن التقدير. فالإنسان يُحسن، لا لأنه يضمن رد الفعل، بل لأنه يتعامل مع الله أولاً.

وفي هذا السياق، يتجلى معنى عميق في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ سورة الإنسان: 9

فهذا النموذج يحزر الإحسان من رهانه على الناس، ويعيد توجيهه نحو مصدر أعلى.

ثالثاً: الجحود... حين لا يعود الإحسان كما نتوقع

من التجارب المؤلمة التي قد يمر بها الإنسان، أن يُحسن إلى غيره، ثم لا يجد شكراً، أو ربما يجد إساءة. وهذه الصدمة قد تُحدث تراجعاً داخلياً، فيبدأ الإنسان في إعادة حساباته: "لماذا أعطى من لا يقدر؟"

لكن هذا التساؤل—رغم وجاهته الظاهرة—ينطلق من افتراض أن الإحسان صفة، بينما هو في حقيقته عبادة.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى حين قال:

"ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمته وصلها"

—رواه صحيح البخاري (5991)

فجعل معيار الإحسان ليس في رد الفعل، بل في ثبات الفعل نفسه.

ومن هنا، فإن الجحود لا ينبغي أن يكون سبباً لترك الإحسان، بل ميداناً لاختبار صدقه.

رابعاً: ضعف اليقين بالأجر... حين يغيب المعنى الأكبر

قد يكون هذا العائق هو الأخطر، لأنه خفي. فالإنسان قد يعرف فضل الإحسان نظرياً، لكنه لا يستحضره عند الفعل، فيضعف دافعه.

وحين يغيب اليقين بأن كل إحسان محفوظ عند الله، وأن له أثراً يتجاوز ما يرى، يصبح العطاء عبثاً لا طاقة له به.

ولهذا، كان القرآن يعيد ترسيخ هذا المعنى في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ سورة البقرة: 110

وقوله سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة التوبة: 120

فحين يوقن الإنسان أن كل عمل محفوظ، وأن الجزاء لا يضيع، يتغير ميزان العطاء لديه، فلا يعود مرتبباً بما يرى، بل بما يرجو.

وهكذا يتبين أن عوائق الإحسان ليست في الخارج فقط، بل في الداخل أيضًا، في طريقة التفكير، وفي طبيعة التوقعات، وفي مستوى اليقين. والإحسان—في حقيقته—ليس مجرد فعل، بل انتصار على هذه العوائق.

ومن هنا، فإن تجاوز هذه الحواجز ليس خطوة ثانوية، بل هو جزء من الرحلة نفسها؛ لأن السعادة التي وعدنا بها الإحسان، لا تُنال إلا بعد أن يتحرر الإنسان من القيود التي تمنعه من العطاء. وفي الفصل القادم، سننتقل من فهم هذه العوائق، إلى بناء طريق عملي يساعدنا على أن نكون من المحسنين، لا بالتمني... بل بالفعل.

قال رسول الله ﷺ:

أَطْعِمُوا الْجَائِعَ

وَعُودُوا الْمَرِيضَ

وَفُكُّوا الْعَانِيَّ

صحيح البخاري 5373

بطاقة الدعوة الإسلامية

● الفصل الثامن

كيف تصبح من المحسنين؟

(برنامج عملي)

في مطلع الألفية، أُجريت تجربة سلوكية ضمن برامج علم النفس التطبيقي في University of California، طُلب فيها من مجموعة من المشاركين أن يلتزموا لمدة أسبوع بأداء خمسة أعمال لطيفة (Acts of Kindness) تجاه الآخرين، بشكل مقصود يومي. لم تكن الأعمال كبيرة: رسالة شكر، مساعدة بسيطة، إهداء شيء يسير، أو تواصل مع شخص منسي.

وعند نهاية التجربة، لم يكن التغيير في الآخرين فقط، بل في المشاركين أنفسهم؛ إذ أظهروا ارتفاعاً ملحوظاً في الشعور بالسعادة والرضا، واستمر هذا الأثر حتى بعد انتهاء البرنامج. وقد خلص الباحثون إلى أن الإحسان—حين يتحول إلى ممارسة منتظمة—لا يبقى سلوكاً عابراً، بل يعيد تشكيل نمط التفكير والشعور.

هذه النتيجة تتناغم مع التوجيه النبوي العميق: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" — رواه صحيح البخاري (6464)، وصحيح مسلم (783)

فالإحسان ليس في الكثرة فقط، بل في الاستمرار، لأن القليل الدائم يصنع أثراً تراكمياً عظيماً. ومن هنا، فإن التحول إلى إنسان محسن لا يبدأ بقرارات كبيرة، بل بخطوات صغيرة، لكنها واعية ومتكررة.

أولاً: خطوات يومية... بناء عادة الإحسان

الإنسان لا يتغير دفعة واحدة، بل يتشكل من خلال ما يكرره يوميًا. ولذلك، فإن أول طريق الإحسان هو تحويله من فكرة إلى عادة.

يمكن تلخيص هذه الخطوات في مسار بسيط:

الخطوة	التطبيق العملي
النية	استحضار أن الإحسان عبادة لا عادة اجتماعية
الملاحظة	البحث يوميًا عن فرصة إحسان مهما كانت صغيرة
المبادرة	عدم تأجيل الفعل عند ظهوره
الاستمرارية	الالتزام بفعل واحد يوميًا على الأقل
المراجعة	التأمل في أثر الإحسان على النفس والآخرين

وهذا المعنى يدخل ضمن عموم قوله ﷺ:

"كلُّ معروفٍ صدقةٌ" — رواه صحيح البخاري (6021)، وصحيح مسلم (1005)

فكل فرصة إحسان—مهما صغرت—هي باب مفتوح.

ثانياً: تمارين تطبيقية... نقل الإحسان من الفكرة إلى الفعل

لكي يتحول الإحسان إلى مهارة، يحتاج إلى تدريب، كما تُدرَّب أي مهارة أخرى. وهذه بعض التمارين العملية:

♦ تمرين "الكلمة اليومية"

أن تلتزم يوميًا بكلمة طيبة صادقة لشخص واحد على الأقل: شكر، تشجيع، دعاء.
قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ سورة البقرة: 83

♦ تمرين "المساعدة الخفية"

أن تقدّم إحساناً دون أن تُعرّف بنفسك، كأن تدفع عن شخص، أو تساعدته دون أن يعلم.
وهذا أقرب إلى الإخلاص، وأعمق أثراً في القلب.

♦ تمرين "تفريج الكربة"

أن تبحث أسبوعياً عن شخص في ضيق، وتحاول مساعدته بما تستطيع.
قال ﷺ: "مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ"
— رواه صحيح البخاري (2442)، وصحيح مسلم (2580)

♦ تمرين "إعادة الوصل"

أن تبادر بالتواصل مع شخص انقطعت عنه، دون انتظار سبب.
وهذا من أعظم أبواب الإحسان الخفي.

ثالثاً: خطة 30 يوماً للإحسان

لكي يصبح الإحسان جزءاً من نمط الحياة، يمكن اعتماد برنامج عملي لمدة شهر، يقوم على التدرج:

الأسبوع	التركيز	أمثلة تطبيقية
الأول	الإحسان بالقول	كلمات طيبة، رسائل تقدير، دعاء
الثاني	الإحسان بالفعل	مساعدة، زيارة، خدمة
الثالث	الإحسان بالمال	صدقة، هدية، دعم
الرابع	الإحسان الشامل	الجمع بين الأنواع + إحسان خفي

وخلال هذه المدة، يُراعى أمران:

- الاستمرار ولو بالقليل
 - التنويع حتى لا يتحول العمل إلى روتين جاف
- ومع نهاية الشهر، لا يكون الهدف إتمام البرنامج فقط، بل بناء نمط جديد في الحياة.

رابعًا: تربية الأبناء على الإحسان

الإحسان لا يُورث بالكلام، بل يُنقل بالممارسة. ولذلك، فإن أعظم طريقة لتربية الأبناء عليه، هي أن يرونه حيًا أمامهم.

◆ القدوة

أن يرى الطفل والديه يُحسنون، فيتعلّم دون توجيه مباشر.

◆ إشراك الأبناء

كأن يُطلب منهم المشاركة في عمل خيري، أو اختيار شخص لمساعدته.

◆ ربط الإحسان بالله

تعليمهم أن الإحسان ليس فقط "لأن هذا جيد"، بل لأنه يقربهم من الله.
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

◆ التعزيز

مدح سلوك الإحسان عند الطفل، ليشعر بقيمته .
وهكذا، يصبح الإحسان جزءًا من تكوينهم، لا مجرد سلوك عابر.

خاتمة الفصل

إن الإحسان ليس فكرة مثالية نُعجب بها، بل مهارة يمكن تعلمها، وعادة يمكن بناؤها، وطريق يمكن سلوكه خطوة خطوة.

وإذا كان كثير من الناس ينتظرون لحظة كبيرة ليبدؤوا، فإن الحقيقة أبسط من ذلك بكثير:

أن تبدأ اليوم... بفعل صغير... لكن بنية صادقة ...

فرب إحسانٍ تراه بسيطًا، يكون بداية تحوّلٍ كبيرٍ في حياتك،
لأن السعادة التي تبحث عنها، ليست في نهاية الطريق...
بل في كل خطوة إحسان تمشيها.

إضافة مهمة منقولة في ختام الفصل :

في رحاب آية الإحسان إلى الناس

من تفسير ابن كثير

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ (36)

يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآتات والحالات ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ، ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : " أتدري ما حق الله على العباد ؟ " قال : الله ورسوله أعلم . قال : " أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " ، ثم قال : " أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ ألا يعذبهم " ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين ، فإن الله ، سبحانه ، جعلهما سبباً لخروجك من العدم إلى الوجود ، وكثيراً ما يقرن الله ، سبحانه ، بين عبادته والإحسان إلى الوالدين ، كقوله : (أن اشكر لي ولو لوالديك) [لقمان : 14] وكقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً [الإسراء : 23] .

ثم عطف على الإحسان إلى الوالدين الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء ، كما جاء في الحديث : " الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة " .

ثم قال : (واليتامى) وذلك لأنهم قد فقدوا من يقوم بمصالحهم ، ومن ينفق عليهم ، فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم .

ثم قال : (والمساكين) وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم ، فأمر الله بمساعدتهم بما تتم به كفائتهم وتزول به ضرورتهم . وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة براءة .

وقوله : (والجار ذي القربى والجار الجنب) قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (والجار ذي القربى) يعني الذي بينك وبينه قرابة ، (والجار الجنب) الذي ليس بينك وبينه قرابة . وكذا روي عن عكرمة ، ومجاهد ، وميمون بن مهران ،



حق الجار

قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ »

« رواد مسلم » (48)

MajalisAlDakr

والضحاك ، وزيد بن أسلم ، ومقاتل بن حيان ، وقتادة .

وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله : (والجار ذي القربى) يعني المسلم (والجار الجنب) يعني اليهودي والنصراني رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وقال جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علي وابن مسعود : (والجار ذي القربى) يعنى المرأة . وقال مجاهد أيضا في قوله : (والجار الجنب) يعنى الرفيق في السفر .

وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار ، فنذكر منها ما تيسر ، والله المستعان :

الحديث الأول : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمر بن محمد بن زيد : أنه سمع أباه محمدا يحدث ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه س يورثه " .

أخرجاه في الصحيح من حديث عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، به .

الحديث الثاني : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " .

وروى أبو داود والترمذي نحوه ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن بشير أبي إسماعيل - زاد الترمذي : وداود بن شابور - كلاهما عن مجاهد ، به ثم قال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه وقد روي عن مجاهد عن عائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الحديث الثالث عنه : قال أحمد أيضا : حدثنا عبد الله بن يزيد ، أخبرنا حيوة ، أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره " .

ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن حيوة بن شريح - به ، وقال : [حديث] حسن غريب .

الحديث الرابع : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عباية بن رفاعة عن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يشبع الرجل دون جاره " . تفرد به أحمد .

الحديث الخامس : قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان ، حدثنا محمد بن سعد الأنصاري ، سمعت أبا ظبية الكلاعي ، سمعت المقداد بن الأسود يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : [" ما تقولون في الزنا ؟ " قالوا : حرام حرمه الله ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم] لأن يزني الرجل بعشر نسوة ، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره " . قال : ما تقولون في السرقة ؟ قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام . قال " لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات ، أيسر عليه من أن يسرق من جاره " .

تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود : قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل لله ندا وهو خلقك " . قلت : ثم أي ؟ قال : " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " . قلت : ثم أي ؟ قال : " أن تزاني حليلة جارك " .

الحديث السادس : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن حفصة ، عن أبي العالية ، عن رجل من الأنصار قال : خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه ، فظننت أن لهما حاجة - قال الأنصاري : لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت أرثي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام . قال : " ولقد رأيتك ؟ " قلت :

نعم . قال : " أتدري من هو ؟ " قلت : لا . قال : " ذاك جبريل ، ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . ثم قال : أما إنك لو سلمت عليه ، رد عليك السلام " .

الحديث السابع : قال عبد بن حميد في مسنده : حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا أبو بكر - يعني المدني - عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل من العوالي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصلى على الجنائز ، فلما انصرف قال الرجل : يا رسول الله ، من هذا الرجل الذي رأيت معك ؟ قال : " وقد رأيتك ؟ " قال : نعم . قال : " لقد رأيت خيرا كثيرا ، هذا جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى رثيت أنه سيورثه " .

تفرد به من هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله .
الحديث الثامن : قال أبو بكر البزار : حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع الحارثي ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، أخبرني عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وهو أدنى الجيران حقا ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، وهو أفضل الجيران حقا ، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار . وأما الذي له حقان فجار مسلم ، له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق ، فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم " .

قال البزار : لا نعلم أحدا روى عن عبد الرحمن بن الفضل إلا ابن أبي فديك .

الحديث التاسع : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي عمران ، عن طلحة بن عبد الله ، عن عائشة؛ أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : " إن لي جارين ، فإلى أيهما أهدي ؟ قال : " إلى أقربهما منك بابا " .

ورواه البخاري من حديث شعبة ، به .

وقوله : (والصاحب بالجنب) قال الثوري ، عن جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علي وابن مسعود قالا هي المرأة .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، وسعيد بن جبير - في إحدى الروايات - نحو ذلك .

وقال ابن عباس ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة : هو الرفيق في السفر . وقال سعيد بن جبير : هو الرفيق الصالح . وقال زيد بن أسلم : هو جليسك في الحضر ، ورفيقك في السفر .

وأما (ابن السبيل) فعن ابن عباس وجماعة هو : الضيف .

فصل خدمة الناس وتفريج كرباتهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من يسر على محسر

يسر الله عليه في

الدنيا والآخرة

صحيح الجامع



وقال مجاهد ، وأبو جعفر الباقر ، والحسن ، والضحاك ، ومقاتل : هو الذي يمر عليك مجتازا في السفر .

وهذا أظهر ، وإن كان مراد القائل بالضيف : المار في الطريق ، فهما سواء . وسيأتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة ، وبالله الثقة وعليه التكلان .

وقوله : (وما ملكت أيمانكم) وصية بالأرقاء ; لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس ، ولهذا ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول : " الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم " . فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا بقرية ، حدثنا بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن المقدم بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقه " .

ورواه النسائي من حديث بقرية ، وإسناده صحيح والله الحمد .

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لقهрман له : هل أعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال : لا . قال : فانطلق فأعطهم ; فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم " رواه مسلم .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " للمملوك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق " . رواه مسلم أيضا .

وعنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه ، فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين ، فإنه ولي حره وعلاجه " .

أخرجاه ولفظه للبخاري ولمسلم فليقعده معه فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوها قليلا فليضع في يده أكلة أو أكلتين " .

وعن أبي ذر ، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " هم إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ، فأعينوهم " . أخرجاه .

وقوله : (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) أي : مختالا في نفسه ، معجبا متكبرا ، فخورا على الناس ، يرى أنه خير منهم ، فهو في نفسه كبير ، وهو عند الله حقير ، وعند الناس بغيض .

قال مجاهد في قوله : (إن الله لا يحب من كان مختالا) يعني : متكبرا (فخورا) يعني : يعد ما أعطى ، وهو لا يشكر الله ، عز وجل . يعني : يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه ، وهو قليل الشكر لله على ذلك .

وقال ابن جرير : حدثني القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد أبي رجاء الهروي قال : لا تجد سيئ الملكة إلا وجدته مختالا فخورا - وتلا (وما ملكت أيمانكم [إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا]) ولا عاقا إلا وجدته جبارا شقيا - وتلا (وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا) [مريم : 32] .

وروى ابن أبي حاتم ، عن العوام بن حوشب ، مثله في المختال الفخور . وقال :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأسود بن شيبان ، حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف : كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتي لقاءه ، فلقيته فقلت : يا أبا ذر ، بلغني أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم : " إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة " ؟ قال : أجل ، فلا إخالني أكذب على خليلي ، ثلاثا . قلت : من الثلاثة الذين يبغض الله ؟ قال : المختال الفخور ، أوليس تجدونه عندكم في كتاب الله المنزل ؟ ثم قرأ الآية : (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) [النساء : 36] .

وحدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب عن خالد ، عن أبي تميمه عن رجل من بلهجوم قال : قلت يا رسول الله ، أوصني . قال : " إياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة " .

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ
كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا
مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ

● الفصل التاسع

الإحسان في عالم قاسٍ

في مساء صيفي من عام 2016، تعرّض شاب أسود يُدعى Daryl Davis لموقف عنصري مباشر، لم يكن الأول في حياته، لكنه كان كفيلاً—كغيره—أن يزرع في النفس غضباً أو قطيعة. غير أن ما فعله هذا الرجل كان مختلفاً تماماً؛ إذ قرر أن يسلك طريقاً غير متوقع: أن يقترب ممن يكرهه، لا ليواجهه بالصراع، بل بالحوار.

لم يكن الأمر سهلاً، لكنه استمر لسنوات في لقاء أعضاء من جماعات عنصرية متطرفة، يستمع إليهم، ويحاوّرهم، ويعاملهم بإنسانية، حتى انتهى به الأمر إلى إقناع عدد منهم بترك تلك الجماعات. وقد سلّم بعضهم له رموز انتمائهم السابقة، اعترافاً بتغيّر قناعاتهم.

هذه القصة—بما تحمله من تعقيد—تكشف أن الإحسان لا يكون فقط في البيئات الهادئة، بل يظهر أثره الحقيقي حين يُمارس في بيئة صعبة، حيث لا يكون الرد الطبيعي هو اللين، ولا العطاء هو الخيار السهل.

وهنا يبرز السؤال الذي يحتاج إلى إجابة واقعية: كيف يمكن للإنسان أن يُحسن في عالم لا يُقابل الإحسان دائماً بالإحسان؟

أولاً: الإحسان في بيئة سلبية... حين يكون الطريق أصعب

في البيئات التي يكثر فيها التوتر، أو الظلم، أو الجفاء، يصبح الإحسان عملاً غير مألوف، بل قد يُنظر إليه على أنه ضعف. ومع ذلك، فإن النصوص الشرعية لا تربط الإحسان بحسن الظروف، بل تجعله مبدأً ثابتاً.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ سورة فصلت: 34

هذه الآية لا تصف حالة مثالية، بل تعالج واقعاً فيه عداوة، ثم ترشد إلى أسلوب يغيّر هذا الواقع، لا بردّ الفعل، بل بتجاوزه.

وهذا لا يعني أن كل إحسان سيحوّل العداوة إلى صداقة مباشرة، لكنه يغيّر موقع الإنسان نفسه؛ فلا يصبح أسيراً لردود الأفعال، بل صاحب مبادرة.

ثانياً: كيف تُحسن دون أن تُستنزف؟

من الإشكالات الواقعية التي يواجهها كثير من الناس، أن الإحسان قد يتحول—إذا غاب عنه التوازن—إلى مصدر استنزاف نفسي أو مادي، خاصة حين لا يُقابل بالتقدير.

وهنا يأتي التوازن الذي يصنعه الوعي:

◆ الإحسان الواعي لا العاطفي فقط

الإحسان ليس اندفاعاً غير محسوب، بل هو عطاءً مبني على إدراك؛ يعرف فيه الإنسان أين يعطي، وكيف يعطي، وبأي قدر.

◆ التفريق بين الإحسان والاستغلال

ليس كل من طلب يُعطي، وليس كل موقف يُجاب بنفس الطريقة، بل يُنظر في المصلحة، وفي الأثر، وفي الحكمة.

◆ تجديد النية

حين يُربط الإحسان بالله، لا بالناس، يقلّ أثر خيبة التوقعات، لأن العطاء لم يكن أصلاً من أجل رد الفعل.

وقد عبّر القرآن عن هذا المعنى بوضوح:

﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ سورة الإنسان: 9

◆ حفظ التوازن الداخلي

فالإحسان لا يعني إهمال النفس، بل هو امتداد لها، ولذلك كان من الهدي النبوي التوازن في العبادة والعمل والعطاء.

وبهذا الفهم، يصبح الإحسان قوة، لا استنزافاً، ومصدر توازن، لا ضغط.



ثالثاً: بناء ثقافة الإحسان في المجتمع

إذا بقي الإحسان سلوكاً فردياً، ظل أثره محدوداً، لكن حين يتحول إلى ثقافة، يصبح قوة تغيير حقيقية.

والثقافة لا تُبنى بالشعارات، بل بالممارسات المتكررة التي تتحول إلى عادات جماعية.

◆ من الفرد إلى القدوة

حين يُحسن الإنسان باستمرار، يصبح نموذجاً يُحتذى، حتى دون أن يقصد.

◆ من الموقف إلى المبادرة

تحويل الإحسان من رد فعل إلى مشروع، كأن تُنشأ مبادرات صغيرة داخل الأسرة، أو المدرسة، أو العمل.

◆ من الفعل إلى الانتشار

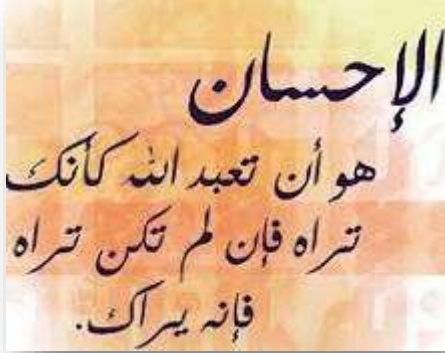
حين يرى الناس أثر الإحسان، ينتقل إليهم، لأن الخير بطبيعته مُعدٍ.

وفي هذا السياق، يتأكد معنى نبوي عظيم:

"أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ" — رواه الطبراني وحسنه عدد من أهل العلم

فالمجتمع الذي ينتشر فيه هذا المعنى، لا يحتاج إلى كثير من الأنظمة ليحافظ على تماسكه، لأن أفرادَه أنفسهم يصبحون مصدر خير لبعضهم.

خاتمة الفصل



الإحسان في عالم قاس ليس خيارًا سهلًا، لكنه خيار عميق. هو ليس استجابة للواقع، بل إعادة تشكيل له. ليس انفعاليًا، بل موقف.

وحين يُحسن الإنسان في بيئة صعبة، لا يغيّر الآخرين فقط، بل يحرر نفسه من أن تكون نسخة من هذا القسوة. وهنا تظهر الحقيقة التي يختم بها هذا الكتاب رحلته:

أن الإحسان ليس مرتبطًا بطيب الناس... بل بطيب قلبك أنت .

وأن السعادة التي تبدأ بإحسانٍ صغير، قد تكون النور الذي يُقاوم ظلامًا كبيرًا... في العالم، وفي داخلك.

الخاتمة: الإحسان ليس خسارة... بل أعظم استثمار: استثمار في القلب، وفي الناس، وفي الآخرة . انقطع البث. جارٍ انتظار الرسالة كاملة...

جربة، مع تثبيت المعنى بالأدلة دون إطالة مُشتتة.

الخاتمة

الإحسان ليس خسارة... بل أعظم استثمار

في إحدى المقابلات، سئل المستثمر ورائد الأعمال Warren Buffett عن أعظم استثمار يمكن أن يحققه الإنسان في حياته، فتحدث عن أمور كثيرة، لكنه أشار إلى معنى لافت: أن أفضل استثمار ليس فقط ما يزيد المال، بل ما يزيد قيمة الإنسان نفسه.

قد يبدو هذا الكلام بعيداً عن موضوع الإحسان في ظاهره، لكنه في عمقه يقترب من حقيقة هذا الكتاب كله؛ لأن الإحسان—في جوهره—ليس فعلاً يُنقص رصيدك، بل استثمار يرفعه... ولكن بطريقة مختلفة.

فحين يُحسن الإنسان، قد يظن أنه يعطي من ماله، أو وقته، أو جهده، لكنه في الحقيقة يزرع في قلبه شيئاً لا يُشترى: الطمأنينة. ويزرع في حياة الناس أثراً لا يُقاس: الامتداد. ويضع عند الله عملاً لا يضيع: البقاء.

لقد بدأ هذا الكتاب بسؤال عن السعادة: لماذا يملكها البعض رغم قلة ما لديهم، ويفتقدها آخرون رغم كثرة ما بين أيديهم؟

وكانت الرحلة تكشف—فصلاً بعد فصل—أن الخلل ليس في الواقع فقط، بل في زاوية النظر. فالسعادة ليست في الأخذ المتكرر، بل في العطاء الواعي. ليست في تكديس اللحظات، بل في امتلاء المعنى.

ثم جاء الإحسان، لا كفكرة أخلاقية مجردة، بل كجوهر للدين، وروح للحياة، وسلوك يومي يمكن أن يُمارس في أبسط التفاصيل: كلمة طيبة، يدٌ تمتد، مال يُبدل، جاه يُسخر، أو حتى نية صادقة لا يراها أحد.

ورأينا كيف أن للإحسان ثمرات لا تتأخر: سكينه في القلب، بركة في الحياة، قبول في القلوب، وتيسير في الطرق. ثم كيف يمتد أثره إلى ما بعد الحياة، حيث الأجر المضاعف، ومحبة الله، والنجاة، والخلود في النعيم.

وتأملنا نماذج من المحسنين، فوجدنا أن الإحسان ليس حكراً على عظماء التاريخ، بل طريقاً مفتوحاً لكل من أراد أن يسلكه. ثم واجهنا العوائق التي قد تعترض هذا الطريق: الأنانية، والخوف، والجحود، وضعف اليقين، لندرك أن المعركة الحقيقية ليست مع الناس... بل داخل النفس. وأخيراً، لم يقف الأمر عند الفهم، بل تحول إلى برنامج عملي، لأن الإحسان—في نهاية المطاف—ليس فكرة تعجبنا، بل سلوك نعيشه.

وهنا، عند نهاية هذه الرحلة، تتضح الحقيقة التي قد تغير كل شيء:

أن الإحسان ليس خسارة... بل هو أعظم استثمار.

استثمار في قلبك، حين يتحرر من الضيق، ويذوق معنى السكينة.
واستثمار في الناس، حين يمتد أثرُك في حياتهم، فيبقى بعدك.
واستثمار في الآخرة، حين تجد ما قدّمت محفوظًا، مضاعفًا، عند ربِّ لا يضيع عنده شيء.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ سورة المزمل: 20

فإن خرجت من هذا الكتاب بشيء واحد، فليكن هذا:

لا تنتظر أن تتغير الظروف لتحسن...
ولا تنتظر أن يستحق الناس لتعطي...

ابدأ من حيث أنت، بما تستطيع، لمن حولك ...

فرب إحسانٍ صغير، يُعيد ترتيب قلبك، ويفتح لك أبواب سعادةٍ
كنت تبحث عنها طويلًا... ولم تنتبه أنها كانت تبدأ منك.

قال أبو الفتح البستي:

زيادة المرء في دنياه نقصانٌ

وربحه غير محض الخير خسرانٌ

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحسانٌ

من جاد بالمال مال الناس قاطبةً

إليه والمال للإنسان فتانٌ

أحسن إذا كان إمكان ومقدرةً

فلن يدوم على الإنسان إمكانٌ

حيّك من لم تكن ترجو تحيته

لولا الدراهم ما حيّك إنسانٌ

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ
فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي
أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ

متفق عليه [خ (5986)، م (2557)]

قال أبو عمرو بن العلاء: لم تقل العرب بيتًا قطّ أصدق من بيت الحطيئة:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

"إِنَّ الْكِرَامَ وَإِنْ ضَاقت مَعِيشَتُهُمْ

دَامَتْ فَضِيلَتُهُمْ وَالأَصْلُ غَلَابُ

لِللَّهِ دَرُّ أَناسٍ أَيْنَمَا دُكِرُوا

تَطِيبُ سِيرَتُهُمْ حَتَّىٰ وَإِنْ غَابُوا



المصادر

■ أبحاث ودراسات نفسية وعلمية

1. "The Healing Power of Kindness" – Harvard Health
 0 يستعرض كيف أن الإحسان يحسّن الصحة النفسية والجسدية، ومن ضمن ذلك خفض أعراض القلق والإحساس بالاتصال الاجتماعي
[.wsj.com+11health.harvard.edu+11health.harvard.edu](http://www.wsj.com+11health.harvard.edu+11health.harvard.edu)
2. "Rewards of kindness? A meta-analysis..." – PubMed
 0 تحليل لآلاف المشاركين أظهر علاقة ثابتة بين الإحسان وشعور الرفاهية النفسية، مع اختلافات بين الإحسان الرسمي وغير الرسمي
[.pubmed.ncbi.nlm.nih.gov](http://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov)
3. "How Kindness Fits Into a Happy Life" – Greater Good, Berkeley
 0 يناقش التفريق بين السعادة النفعية (hedonic) والسعادة الذاتية العميقة (eudaimonic)، ودور العطاء في تعزيز الثانية
[.health.harvard.edu+6greatergood.berkeley.edu+6ox.ac.uk](http://health.harvard.edu+6greatergood.berkeley.edu+6ox.ac.uk)
4. "Warm-glow giving" – نموذج اقتصادي
 0 يشرح كيف أن "الدفء النفسي" الناتج من الإحسان (warm-glow) مصدر مشاعر إيجابية للفاعل، حتى إذا كانت دوافعه مختلطة
[.arxiv.org+11en.wikipedia.org+11greatergood.berkeley.edu+11](http://arxiv.org+11en.wikipedia.org+11greatergood.berkeley.edu+11)
5. "The Science of Kindness" – News Medical
 0 يستعرض تجارب علمية قادرة على تعزيز السعادة من خلال أنشطة الإحسان اليومية، ويبيّن أن زيادة عدد هذه الأفعال يرتبط بتحسّن الرفاهية
[.bps.org.uk+6news-](http://bps.org.uk+6news-)
[.medical.net+6psychologytoday.com+6](http://medical.net+6psychologytoday.com+6)

📌 إطار علم النفس الإيجابي

6. Positive Psychology – وآخرون Martin Seligman
 0 حركة علم النفس الإيجابي بدأت أواخر التسعينيات، وأشارت إلى أن علاقات قوية وممارسات الإحسان تعزز السعادة الحقيقية، بعيداً عن الثروات أو التعليم
[.time.com](http://time.com)
7. نظرية "Broaden and build" – Barbara Fredrickson
 0 تشير إلى أن العواطف الإيجابية توسّع وعي الإنسان وتبني موارده النفسية، مما يجعل الإحسان عاملاً رئيسياً في هذه الدائرة الإيجابية
[.en.wikipedia.org+1theguardian.com+1](http://en.wikipedia.org+1theguardian.com+1)

تقارير دولية واتجاهات حديثة

8. "The psychology of giving" – The Guardian
 0 تتناول بحوث Harvard Business School، وتكشف أن حتى الإحسان البسيط كمزاولة القهوة للآخرين يعزز السعادة بغض النظر عن المقدار
[.bps.org.uk+5theguardian.com+5theguardian.com+5](https://www.bps.org.uk+5theguardian.com+5theguardian.com+5)
9. "Covid 'benevolence bump'..." – The Guardian
 0 زيادة مستمرة في العطاء بعد جائحة كورونا (+10% مقارنة بما قبل 2020)، مما يعكس توجهًا عالميًا نحو الإحسان الجماعي
[.theguardian.com](https://www.theguardian.com)

المراجع الإسلامية والفلسفية

- القرآن الكريم والسنة النبوية: ركّز على مراتب الإحسان، وأثره على النفس والمجتمع (انظر آيات مثل: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾).
- كتب العلامة ابن القيم وابن حزم: تناولوا الإحسان في القلب واليد، وتأثيره في تحقيق الطمأنينة والسعادة.
- ...Isma'il Raji al Faruqi – Al Tawhid: Its Implications
 0 رغم تركيزه على التوحيد، إلا أنه يربط الإحسان بالمفهوم الأخلاقي الإسلامي بوصفه جزءًا من نظام التوحيد الأخلاقي
[.en.wikipedia.org](https://en.wikipedia.org)

مصادر داعمة إضافية

- Verywell Mind: "How to Show More Compassion"... يبيّن كيف تزيد التعاطف نوعية الحياة وتخفف التوتر
[.verywellmind.com](https://www.verywellmind.com)
- WSJ Health: "Buy Happiness — by Giving"... يعرض فوائد الإحسان على الحالة المزاجية وضغط الدم وطول العمر
[.wsj.com](https://www.wsj.com)
- Psychology Today: "The Psychology of Kindness" يؤكد أن العطاء يرفع الهرمونات الإيجابية ويخفض الإجهاد
[.verywellmind.com+15psychologytoday.com+15mountsinai.nsw.edu.au+15](https://www.verywellmind.com+15psychologytoday.com+15mountsinai.nsw.edu.au+15)



عن المؤلف وكتبه

د. سعد جبر، عميد كلية الإعلام بجامعة باشن العالمية بأمريكا، سابقاً وحالياً وكيل الكلية، ومن علماء الأزهر الشريف خبير في ريادة الأعمال، واستشاري تطوير المشاريع الاجتماعية والإعلامية، مهتم بالشأن الأفريقي، ومستشار لعدة مؤسسات غير ربحية .

يحمل د. سعد خبرة تمتد لأكثر من 15 عامًا في العمل مع رواد الأعمال، والمؤسسات غير الربحية، وحاضنات الأعمال في العالم العربي. شارك في تأسيس عدد من المبادرات الريادية، وأشرف على برامج تدريبية وتأهيلية في مجالات الابتكار والتفكير التصميمي، والتسويق الاجتماعي، وبناء الثقة بين أصحاب المشاريع والمستثمرين.

ساهم في تدريب وتوجيه مئات الشباب على تحويل أفكارهم إلى مشاريع قابلة للتطبيق، وقاد فرقًا استشارية لبناء استراتيجيات تمويل مستدامة لمبادرات ناشئة في قطاعات التقنية والتعليم والإعلام.

يؤمن بأن الأسرة هي أساس المجتمع المترابط ومحضن الفرد المتوازن، وأن بناء المجتمع يبدأ ببناء الإنسان أولاً، ثم الأسرة، ثم يكتمل البناء .

من مؤلفات الدكتور سعد جبر

المسلسل	اسم الكتاب	نبذة عن الكتاب
1	أحاديث الحب النبوية	40 حديثاً عن الحب النبوي مع التخريج والشرح
2	الأربعين الخيرية	40 حديثاً تبدأ بكلمة "خيركم" مع التخريج والشرح
3	خواطر مسجدية "السيرة"	دروس مسجدية مختصرة من السيرة النبوية
4	خواطر مسجدية "التفسير"	دروس مسجدية في تفسير الآيات التي تتلى كثيراً في الصلوات
5	مختصر أحاديث الأدب النبوي	اختصار كتاب الأدب النبوي للدكتور فيصل البعداني يحوي 50 حديثاً
6	شرح الأربعين العلمية	شرح أربعين حديثاً في فضل العلم والعلماء
7	مشكلات وحلول من حياة الرسول ﷺ	استخلاص حلول للمشكلات من السيرة النبوية
8	هل يحل القرآن مشكلتي؟	خمسون مشكلة حياتية: توضيح الأسباب والحلول من القرآن
9	من أجل أن تزهر الروح	كتاب عن فلسفة البلاء والابتلاء هندسة النفس في ظل الابتلاءات
10	السبعة الكبار	تعريف مختصر بالصحابة السبعة أكثر رواية للحديث النبوي
11	الأربعين النبوية	40 حديثاً نبويًا عن شخص النبي ﷺ

المسلسل	اسم الكتاب	نبذة عن الكتاب
12	30 خاطرة للتراويح	كلمات مختصرة في شرح آيات وأحاديث تخص شهر رمضان
13	خمسون رسالة للإمام	رسائل مختصرة تجعل من كل إمام، إمام عصره
14	لطائف وفرائد قرآنية	تأملات في عجائب مطالع السور القرآنية (في المراجعة النهائية)
15	الإعلام المفقود في التعليم	نقد وحلول لواقع التربية الإعلامية في مجال التعليم
16	الذكاء الروحي	مختصر الحياة الروحية معوقات ومغذياتها
17	الذكاء الاصطناعي وأطفالنا	مستقبل الأبناء مع الذكاء الاصطناعي وكيف نوجههم
18	الصبر الإداري	يتحدث عن الصبر في مجال العمل والوظيفة ونقل الخبرات
19	الأسر المنتجة تمكين وإبداع	100 مشروع مدروس لتيسير حياة الأسر التي تعمل وتنتج من البيت
20	حرب المخدرات	أفكار شعبية لمكافحة المخدرات والقضاء عليها في الجزائر
21	المدرّب الجديد وإذابة الجليد	ألعاب وتمارين تدريبية تعاون المديرين الجدد
22	تسويق المشاريع غير الربحية	كتاب مهم جداً لتسويق المشاريع غير الربحية باحتراف
23	وداعاً للبطالة	محاورة البطالة وفتح طرق مشاريع نوعية صغيرة أمام الشباب
24	دليلك إلى الدخل القليل الدائم	استدامة الدخل والحفاظ على المدخرات وتأمين المستقبل
25	مصانع الإنسان	سر التراتبية الأسرية التي تصنع القديسين والطغاة (في المراجعة)
26	25 صفحة ستغير حياتك	25 عادة منوعة تضمن لك خير الدنيا والآخرة وتغيرك بسهولة
27	ديون "قوافل" شعر	ديواني الشعري الأول
28	أسرار الكتابة الدرامية	كتاب لا يستغني عنه كاتب ولا مؤلف يبسط تحويل الأفكار إلى دراما
29	هل تريد أن تؤلف كتاباً؟	نصائح من خبراء الكتابة والمؤلفين لتصبح كاتباً ومؤلفاً مرموقاً
30	كيف تمطر سحابة فكرك؟	كتاب عن الإبداع وكيفية تحويل الأفكار لمشاريع ومنتجات
31	التمكين والشراكة	دليل ربط المؤسسات الأفريقية بالمنظمات الدولية
32	مش قد الشيلة؟	كتاب عن خطورة الإهمال في تحمل المسؤولية
33	حكايات مؤثرة	قصص مؤثرة مجموعة من الانترنت
34	حبات من سنبله الفجر	المجموعة القصصية الأولى، قصص قصيرة مميزة من تأليفي
35	الرد على الشيخ الددو	رد على الشيخ الددو فيما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم
36	خطب الحيوان الغريب	مجموعة خطب لأحد الحيوانات الغريبة وتحليلها بأسلوب فكاهي
37	بروتوكول المبادرات المجتمعية	دليل شامل لتصميم وتنفيذ مبادرات المسؤولية المجتمعية الفعالة
38	توني بلير - المندوب السامي الجديد	إعادة تشكيل الشرق الأوسط تحت غطاء الاستشارات الحديثة
39	الخرس الأسري	المشكلة والحل
40	الجزائر وحزام السافانا	دراسة جغرافية اقتصادية

المسلسل	اسم الكتاب	نبذة عن الكتاب
41	دليلك لاستثمار عقاري ناجح	دليلك المختصر لاستثمار عقاري ناجح
42	أزمة ثقة	بين الممولين والمشاريع - كيف تكسب ثقة المستثمرين؟
43	الرجل النعجة	سيميائية الاستسلام وضياع القوامة في الأسرة والمجتمع) بالمراجعة)
44	ست ستات من غير رجل	كتاب عن أغرب وأخطر أنواع النساء (في غرفة التحرير)
45	انستجرام الإمام	تحويل أقوال ابن القيم للوحات فنية رقمية للنشر على إنستغرام
46	حفلة تفكيرية	الإبداع والعبقرية في توظيف قوة التفكير التشاركي
47	30 يوم حاسمة	كتاب عن إدارة المشاريع في مراحلها الأولى
48	جيل زد	كتاب عن جيل زد
49	مصحفي ورحلة العودة إليه	كتاب عن العلاقة مع القرآن الكريم
50	زواج بنات النبي ﷺ	كتاب عن زواج بنات النبي ﷺ
51	البوصلة	لمرحلة ما بعد طوفان الأقصى
52	سبع عجاف	تحليل شخصيات سبعة رؤساء بالمنطقة العجفاء
53	بوصلة القلوب	دليل الإمام لفهم المصلين وخلق مجتمع متآلف بالمسجد
54	رحلة المتوكلين	30 محطة تنقلنا من التواكل والكسل إلى اليقين والعمل
55	الإطار القيمي للأسرة	الدستور التربوي لسلوكيات الأبناء في الأسرة الواعية المسلمة
56	ملخص خمس كتب	خمسة كتب للتطوير والنجاح والقوة والابداع والتحكم وفهم المتغيرات
57	الجامعة وصناعة الوعي المجتمعي	استثمار رأس المال المعرفي لإعداد قادة الوعي الجدد
58	كود التأثير	رحلتك لصناعة الأثر الحقيقي في العالم الرقمي
59	رسائل متبادلة مع جيل زد	حوار عابر للزمن مع جيل Z
60	سفر التكوين السياسي	كتاب يشرح ويقدم ويوضح دبلوم التدريب السياسي
61	دبلوم التدريب السياسي	عشر مقررات تدريبية وكتاب يشرح الدبلوم
62	وعن الرضا قالوا	كتاب عن منزلة الرضا وكيف نصل لدرجة رضي الله عنهم ورضوا عنه
63	الكرب والدعاء	أدعية تقوي المسلم في مواجهة أي كرب في هذه الحياة الصعبة
64	مسرحية دمي	مسرحية عن قصة مسرح الدمى وواقع المجتمع
65	أعشاب الجهاز الهضمي	مجموعة أعشاب تداوي مجموعة أمراض مع طرق الاستخدام
66	لماذا ننشغل بالسياسة؟	تعريف للسياسة لماذا؟ وكيف؟
67	الذكاء التسويقي	فن إدارة بيانات الأسواق

المسلسل	اسم الكتاب	نبذة عن الكتاب
68	أسرار النجاح في المشاريع الصغيرة	تأسيس وإدارة وتمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة
69	التدفقات النقدية في المشاريع الصغيرة والمتوسطة	حل معضلة التدفقات النقدية
70	الدعاة وفضائح إبستين	كيف يتعامل دعاة الإسلام مع فضائح ابستين
71	ببساطة كيف تصنع الثروات ؟	تلخيص لموضوع بناء الثروة آليات ومحاذير
72	في بيتنا سؤال؟	كيف نسأل ونجيب أبناءنا في زمن الانفتاح
73	حكاية القائد البطيء	تطبيقات عملية لحل معضلة استدامة الشركات
74	القيادة التحويلية	بالمؤسسات غير الربحية
75	عوامل نجاح وفشل مشاريع التعليم الإلكتروني	
76	دبلوم القيادة الميدانية بالمنظمات غير الربحية	
77	حظيرة الخنازير الغربية	
78	أسرار النجاح في المشاريع الصغيرة	
79	هل تعريف كيف تصلي عليه ؟	ﷺ
80	إعداد التقارير الإدارية باحترافية	
81	شحاذا الإشارة -	عبقرية الإدارة والتسويق في المكان الخطأ
82	حين يسجد الكون ..	نظرات جديدة في آيات السجود بالقرآن الكريم
83	سر السعادة الإحسان إلى الخلق	

للتواصل وطلب أي كتاب من د. سعد جبر - الجزائر : 00213673956106 - saadjabr@gmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ